



وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ^٥ اه فَصَاحِبُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ وَالْفَهْمِ الْقَوِيمِ لَا يَسَعُهُ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ ذَلِكَ إِلَّا تَقْوَى اللَّهِ فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِخَيْرٍ أَوْ يَسْكُتُ. وَهَذَا اللِّسَانُ الَّذِي هُوَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْنَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَفِي الْحَثِّ عَلَى الْخَيْرِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَفِي كُلِّ مَا يَعُودُ عَلَى النَّاسِ بِالنَّفْعِ وَالْخَيْرِ وَأَمَّا مَنْ يُطْلِقُ الْعِنَانَ لِلْسَانِ وَيَسْتَرْسِلُ فِي الْمَعَاصِي مِنْ غِيْبَةٍ وَشَتْمٍ وَسَبٍّ وَلَعْنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ وَاسْتِخْفَافٍ بِالْخَالِقِ وَاسْتِهْزَاءٍ بِالَّذِينَ فَإِنَّمَا يُوقِعُ نَفْسَهُ فِي الْمَهَالِكِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنَّ فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَوْ يَبْعَثُ بِهَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ^٦ اه مَعْنَاهُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْمُوقِعَةِ فِي الْكُفْرِ وَهُوَ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا لَا يَرَاهَا ضَارَةً لَهُ فَيَهْلِكُ بِهَا نَفْسَهُ وَيَهْوِي فِي النَّارِ إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْهَا.

إِخْوَانِي فِي اللَّهِ، إِنَّ أَشَدَّ مَعَاصِي اللِّسَانِ وَأَخْطَرَهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ الْكُفْرُ كَسَبَ اللَّهُ وَسَبَّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَدِينَ الْإِسْلَامِ وَسَبَّ الْقُرْآنِ وَتَحْلِيلُ أَمْرِ هُوَ حَرَامٌ بِالْإِجْمَاعِ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ حُرْمَتُهُ وَمَعْنَى أَمْرٍ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ أَيُّ أَمْرٍ ظَاهِرٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يَعْرِفُ الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حُكْمَهُ فِي الدِّينِ وَذَلِكَ كَمَنْ يَقُولُ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ أَوْ عَنِ الزِّنَا إِنَّهُ حَلَالٌ. وَلَقَدْ اهْتَمَّ الْعُلَمَاءُ بِالتَّحْذِيرِ مِنَ الْكُفْرِ الْقَوْلِيِّ وَمِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَنَصُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ، فَمِنْ هَؤُلَاءِ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ عَبْدُ الْبَاسِطِ الْفَاخُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي كَانَ مُفْتِيًّا فِي لُبْنَانَ مِنْذُ نَحْوِ مِائَةِ سَنَةٍ.

وَالرِّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ أَيُّ الْخُرُوجِ مِنْهُ مُحِبَّةٌ لِلْعَمَلِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^٧ وَالرِّدَّةُ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامُ كُفْرٍ اِعْتِقَادِيٍّ يَحْصُلُ بِالْقَلْبِ وَكُفْرٌ فِعْلِيٌّ يَكُونُ بِالْجَوَارِحِ وَكُفْرٌ قَوْلِيٌّ يَحْصُلُ بِالْقَوْلِ كَمَا قَسَمَهَا النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ كَابْنِ الْمُقْرِي وَابْنِ عَابِدِينَ وَابْنِ الْبُهَوِيِّ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ وَغَيْرُهُمْ وَذَلِكَ مُصَدِّقٌ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ^٨ اه أَيُّ مَسَافَةٍ سَبْعِينَ عَامًا

^٥ رواه الترمذي في السنن.

^٦ رواه مسلم في صحيحه.

^٧ سورة البقرة/ الآية ٢١٧.

^٨ رواه الترمذي في السنن.

في الزُّلُولِ وَذَلِكَ مُنْتَهَى جَهَنَّمَ وَهُوَ خَاصٌّ بِالْكَفَّارِ وَمَعْنَى لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا أَيُّ لَا يَرَى بِهَا ضَرَرًا. فَبَعْضُ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يُبَالُونَ وَلَا يَهْتَمُّونَ بِضَبْطِ أَلْسِنَتِهِمْ وَحِفْظِهَا عَنِ الْكُفْرِ يُسَارِعُونَ إِلَى التَّسَخُّطِ عَلَى اللَّهِ أَوْ سَبِّهِ تَعَالَى أَوْ سَبِّ دِينِ الْإِسْلَامِ أَوْ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَ أَيِّ حَادِثٍ يَقَعُ لَهُمْ أَوْ مُصِيبَةٍ تَحُلُّ بِهِمْ وَهُمْ بِذَلِكَ يُوقِعُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ ذَنْبٍ وَهُوَ الذَّنْبُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۖ﴾^١ فَمَاذَا يَجْنِي هَؤُلَاءِ الْهَالِكُونَ الْمُتَهَوِّرُونَ حِينَ يَسُبُّونَ اللَّهَ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَدِينِ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَكْتَسِبُونَ الْخَطِيئَةَ الَّتِي فِيهَا الْمَذَلَّةُ وَالْمَهَانَةُ وَالْحُسْرَانُ، وَقَدْ قِيلَ مَثَلُ اللِّسَانِ مَثَلُ السَّبْعِ إِنْ لَمْ تُوثِقْهُ عَدَا عَلَيْكَ أَيُّ افْتَرَسَكَ. وَقِيلَ لِلْإِمَامِ ذِي الثُّونِ الْمَصْرِيِّ مَنْ أَصَوْنَ النَّاسَ لِقَلْبِهِ قَالَ أَمْلَكُهُمْ لِللِّسَانِ اهـ.

عِبَادَ اللَّهِ اللِّسَانُ خَطَرُهُ عَظِيمٌ جَرْمُهُ أَيُّ حَجْمُهُ صَغِيرٌ وَجُرْمُهُ كَبِيرٌ فَالَّذِي الْعَاقِلُ الْفَطِنُ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ لِسَانَهُ عَنْ أَنْ يُهْلِكَ بِهِ نَفْسَهُ. هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ ارْتَقَى الصَّفَا فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ يَا لِسَانُ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ^٢ اِهْ وَمِنْ هَذِهِ الْخَطَايَا الْكُفْرُ وَالْكَبَائِرُ حَفِظَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا وَخَتَمَ لَنَا بِخَيْرٍ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَهُ التَّيَمُّنَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَحَبِيبُهُ وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَأَوْصِي نَفْسِي وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقَوْهُ وَخَافُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَأَطِيعُوهُ فَيَا فَوْزَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ.

^١ سورة محمد/ آية ٣٤.

^٢ رواه الطبراني في المعجم الكبير.

Esclaves de Dieu, je vous recommande, ainsi qu'à moi-même, de faire preuve de piété à l'égard de *Allah Al-`Aliyy Al-`Adhim*, faites preuve de piété et craignez Dieu, et préservez vos langues de dire du mal, car *Allah ta`ala* dit dans le *Qour'an* Honoré [sourate *Qaf* verset 18] ce qui signifie : « **Pas une parole qu'il prononce sans qu'il ait auprès de lui *Raqib* et *Atid*.** »

Sachez, chers frères de foi, que nous avons des comptes à rendre au Jour du jugement sur ce que nous disons, ce que nous faisons, ce que nous avons pour croyance.

Allah ta`ala dit ce qui signifie : « **Le jour où leurs langues, leurs mains et leurs pieds témoigneront de ce qu'ils faisaient.** »

D'après *Abou Hourayrah*, que Dieu l'agrée, le Messenger de Dieu ﷺ a dit ce qui signifie : « **Celui qui croit en Dieu et en le Jour dernier, qu'il dise du bien ou bien qu'il se taise.** » Le sens de ce *hadith* est que celui qui a la foi complète qui le préserve du châtement de Dieu et qui fait parvenir à l'agrément de Dieu, qu'il dise du bien ou qu'il se taise. Car celui qui a la foi complète en Dieu craint Son châtement et espère Sa récompense, il s'applique à faire ce que Dieu lui a ordonné et à délaissier ce qu'Il lui a interdit. En particulier, il maîtrise ses organes, qui sont sous sa responsabilité. Le Messenger de Dieu ﷺ a dit ce qui signifie : « **Est-ce que les gens seront jetés en enfer sur leur visage ou sur leur nez sinon en raison de ce que leurs langues ont récolté !?** » Quelqu'un qui a une raison saine et une bonne compréhension, après avoir su tout cela, il ne lui reste plus qu'à faire preuve de piété à l'égard de Dieu. Il dira donc du bien ou bien il se taira. Cette langue, qui fait partie des bienfaits que Dieu nous accorde, il convient de l'employer à évoquer Dieu... à obéir à Dieu... à inciter à faire le bien... à ordonner le bien et à interdire le mal... et à dire tout ce qui est profitable aux gens.

Quant à celui qui lâche la bride à sa langue et se noie dans les péchés, que ce soit dans la médisance, les insultes, les malédictions sans droit, le rabaissement du Créateur, le dénigrement de la religion, il tombe dans ce qui le mènera à sa perte.

Chers frères de foi, le plus grave des péchés de la langue et le plus dangereux dans l'absolu, c'est la mécréance. Comme par exemple insulter Dieu, insulter les prophètes, ou les anges, ou l'Islam, ou le *Qour'an*, ou déclarer licite une chose interdite par Unanimité et bien connue comme étant interdite dans l'Islam, comme si son interdiction était une évidence, comme dire qu'il serait permis de consommer de l'alcool ou de commettre la fornication. On dit qu'un sujet est bien connu chez les musulmans au point d'être comme une évidence quand il s'agit d'un sujet manifeste chez les musulmans, dont le jugement dans la religion est connu aussi bien chez les ignorants que chez les savants.

Le fait d'apostasier l'Islam, c'est-à-dire de sortir de l'Islam, annule les bonnes œuvres. *Allah ta`ala* dit ce qui signifie : « **Ceux d'entre vous qui apostasient leur religion puis meurent en étant mécréants, ceux-là leurs œuvres seront annulées dans le bas monde et dans l'au-delà, ils font partie des gens de l'enfer, ils y resteront éternellement.** »

L'apostasie est de trois sortes : la mécréance par la croyance qui a lieu par le cœur, la mécréance par les actes qui se produit par les organes, et la mécréance par la parole qui a lieu par la langue, tout comme l'ont classée *An-Nawawiyy* et d'autres parmi les savants des quatre écoles, comme *Ibnou l-Mouqri*, *Ibnou `Abidin*, *Al-Bouhoutiyy*, le *Chaykh Mouhammad `Il-lîch* et bien d'autres.

Et ceci est conforme à la parole du Prophète ﷺ qui signifie : « **Il arrive à l'homme de dire une parole dans laquelle il ne voit pas de mal mais à cause de laquelle il chutera soixante-dix automnes en enfer** » c'est-à-dire soixante-dix ans de chute, et cela fait atteindre le fond de l'enfer, qui est spécifiquement réservé aux mécréants. Le sens de « **dans laquelle il ne voit pas de mal** » c'est-à-dire qu'il ne la considère pas préjudiciable.

Certaines personnes, qui ne font pas attention et n'accordent aucune importance à maîtriser leur langue et à la préserver de la mécréance, s'empressent de se fâcher contre Dieu ou de L'insulter, ou bien d'insulter l'Islam, ou l'un des Prophètes, ou l'un des anges, dès qu'une déconvenue leur arrive ou à la moindre épreuve qui les touche. Ils se laissent ainsi entraîner dans la mécréance qui est le plus grave des péchés, le péché que Dieu ne pardonne pas à celui qui meurt en en étant chargé.

Esclaves de Dieu, le danger de la langue est très grave : « *Sa taille est petite mais son crime est grand.* » Quelqu'un d'intelligent, de sensé, de perspicace, c'est quelqu'un qui préserve sa langue de tout ce qui peut le mener à sa perte.

Voici 'Abdou l-Lah Ibnou Mas'oud, que Dieu l'agrée, il a été rapporté qu'il a escaladé As-Safa, qu'il a pris sa langue et a dit : « *Ô langue, dis du bien tu gagneras, et abstiens-toi de dire du mal, tu seras sauvée, avant d'avoir à regretter.* » Puis il a dit : « *J'ai entendu le Messager de Dieu ﷺ dire [rapporté par At-Tabaraniyy dans Al-Mou'jamou l-Kabir] ce qui signifie : « **La plupart des péchés du fils de 'Adam proviennent de sa langue.** » Or parmi ces péchés, il y a la mécréance et les grands péchés, que Dieu m'en préserve ainsi que vous et qu'Il nous accorde une fin heureuse.*

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ٥٦ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا وَاكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوُّ اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ اللَّهُمَّ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِقُضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ اللَّهُمَّ أَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَاجْرِنَا مِنَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْزِ مَشَائِخَنَا عَنَّا خَيْرًا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَثْبُتْكُمْ وَاشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ وَاتَّقُوهُ يَجْعَلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

٥٦ سورة الاحزاب /